

تقديم كتاب: في خندق الذئب، معارك المغرب للمؤلفة: ماريا روسا دي ماداريغا*

**عبد الرحمان الطيبي

إننا نهنيئ المؤسسة على هذه الالتفاتة للأستاذة ماريا روسا Maria Rosa في هذا اللقاء الثقافي، ونهنيئ في نفس الوقت المؤرخة بما قامت به من انجازات جبارة في الميدان التاريخي حول منطقة الشمال المغربي بصفة عامة ومنطقة الريف بصفة خاصة. إن المؤلفات التي ألقتها الأستاذة حول أحداث الريف، حظيت باهتمام خاص من لدن الأوساط المثقفة المغربية عامة والريفية خاصة وقيل تقديم المؤلف الذي نحن بصددده في هذه الجلسة التواصلية مع الأستاذة ماريا روسا Maria Rosa التي سوف تجيب بصدر رحب عن تساؤلات عدة في هذا اللقاء الحواري. ولا يفوتني هنا إلا أن ننوه بما قامت به أيضا الدكتور كرز الغالي من ترجمة الكتاب في خندق الذئب إلى اللغة العربية. والذي يعتبر مساهمة فعالة لإغناء الخزانات الوطنية بهذا المؤلف المهم، والذي أيها الحضور الكريم اسمحوا لي بداية أن نشكر مؤسسة ثيربانتيش على استدعائنا للمشاركة في هذا اللقاء التواصلية مع الأستاذة ماريا روسا دي ماداريغا Maria Rosa de Madariaga لتقديم كتابها في خندق الذئب، معارك المغرب. سوف يكون بدون شك مصدرا مهما للطلبة المهتمين بالبحث التاريخي لمنطقة الريف إننا في هذا اللقاء لا نستغرب ما قامت به الأستاذة ماريا روسا من الخوض في الأحداث والمعارك التي وقعت بين القوات

* En el barranco del lobo .las guerras del Marruecos Maria Rosa de Modariaga – Alinze Editorial – 2005

النظامية الإسبانية والمقاومة الريفية، منذ انطلاق الشرارة الأولى لهذه المواجهة منذ سنة 1893 إلى سنة 1926. أود أن أشير هنا إلى أن المؤرخة الإسبانية Maria Rosa de Madariaga غنية عن التعريف، فهي حاصلة على عدة شواهد عليا من جامعات مختلفة كالإجازة من جامعة مدريد، ودكتورة في التاريخ من جامعة باريس، ونبلم في اللغة العربية من مؤسسة اللغات والحضارات الشرقية بباريس لممارستها: تعليم اللغة والحضارات الإسبانية بجامعة باريس IV. وقد اشتغلت كموظفة في اليونسكو خاصة في شعبة الحضارات، حيث كانت مكلفة بمشروع حول هيمنة الحضارة العربية بأمريكا اللاتينية. وللاستاذة عدة مؤلفات عن تاريخ الريف، ولها عدة مساهمات سواء عبر إلقاء المحاضرات أو في كتابة مقالات داخل المغرب وخارجه.

أيها الحضور الكريم إن مؤلف: في خندق الذئب En el blanco del lobo يعتبر في نظرنا من أهم المؤلفات التي برزت في الساحة الثقافية سواء بإسبانيا أو المغرب، بفضل المؤرخة المتميزة التي استطاعت أن تعبر في مقدمة الكتاب عن حبها وشغفها واهتمامها بتاريخ الريف. إن العمل الذي نقدمه اليوم بهذه المؤسسة بفاس، هو في الحقيقة احتفاء بصاحبه المؤلف التي لخصت لنا: الصورة العامة للأحوال التي كان مسرحها منطقة الريف، انطلاقا من حرب تطوان سنة 1860 التي انهزم فيها المغرب بسبب الدسائس التي كانت تحيكها إسبانيا للمغرب، واستغلالها لعدة ظروف للذيل منه، لأنه لم يكن في مستوى المواجهة. وقد عرفتنا المؤرخة بأهم الشخصيات العسكرية والمدنية التي لعبت أدوارا طلائعية في هذه الوقائع والأحداث، سواء من جانب الحكومة الإسبانية أو من طرف المخزن المغربي، دون أن تنسى بالتذكير أهم الشخصيات الريفية التي قادت المقاومة المسلحة ضد القوات الأسبانية، خاصة الزعيم الشريف محمد أمزيان والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. ونحن كمهتمين بتاريخ المنطقة الريفية، لا يسعنا إلا أن نهني الأستاذة عن إصدارها لهذا المؤلف، من أجل إضاءة جانب مهم وغامض عن تاريخ المقاومة الأولى للريفيين ضد الجيش الإسباني المنظم. إن المؤرخة ماريا روسا Maria Rosa اقتحمت موضوعا كان يعتبر في المغرب طابوها، وأن ما أشارت إليه بخصوص حرب الريف 1921 - 1926 هو في الحقيقة إعادة لقراءة تجربة وشخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي من قبل المؤرخين ذوي الاختصاص، والذي أصبح اليوم واجبا وضرورة ملحة. إن الأستاذة Maria Rosa de Madariaga خاضت في هذا الموضوع بكل شجاعة ونزاهة علمية قل نظيرها، حيث ساهمت في تصحيح بناء ذاكرة تاريخ الريف "لا سيما، إذا علمنا أن أغلب الكتابات الوطنية أو الأجنبية لم تكن لها الجرأة بقول الحقيقة عن هذه المرحلة

التي تناولتها بكل أمانة علمية بخصوص مرحلة الاستعمار الإسباني للمنطقة الريفية. من هذا المنطلق، يستمد هذا العمل قيمته وأهمته وقوة الإرادة التي تحملتها صاحبه الأستاذة Maria Rosa للخوض في دراسته معتمدة في ذلك على أهم الأرشيفات الأسبانية والأرشيفات الفرنسية بالإضافة إلى المصادر المتنوعة المكتوبة والشفوية.

ولا يسعني هنا إلا أن أثنى الشهادة التي أشار إليها الدكتور عبد الغني أبو العزم في تقديمه العام للكتاب عندما قال في حق المؤلفة أنها: "...مؤرخة تعتمد الوثيقة في أدق تفاصيلها، وتعيد لها مكانتها العلمية في العملية التاريخية ... ولم يكن اعتماد الوثيقة عند الباحثة يقف عند مجرد رصد الأحداث والمعارك وتتابعها بل كانت على الدوام تسعى لفهم وتحليل الظروف والملابسات المحيطة بها..." ونضيف إلى هذه الشهادة: أن ما قدمته الأستاذة من حقائق حول حرب الريف وعن شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي، وما كان يدور في الكواليس الإسبانية حول الحرب وإخفاء الحقيقة على الشعب الإسباني وما جهرت به من المكائد والدسائس التي وظيفتها إسبانيا من أجل استعمار المغرب، كدليل واضح على مدى جدية المؤرخة وكشفها عن الحقيقة مهما كانت نتائجها عليها. وقد ساهمت بشكل لا غبار عليه في إعادة كتابة التاريخ لمنطقة الريف، والخروج عن الصمت الذي ساد هذه المنطقة من طرف عدد من المؤلفين المغاربة الذين لم يتجرؤوا في الخوض عن هذه المواضيع الشائكة. حيث أصبحت حرب الريف نعرف عليها الكثير من الأسرار، وما خفي عنها أعظم، وربما ستكشف عن حقائق جديدة مستقبلا عبر تفحص مذكرات الخطابي بالقاهرة وكذا الوثائق المخزنية التي مازالت راکدة في الخزانات الملكية. أيها الحضور الكريم، إنني مسرور بتقديم أهم ما جاء في هذا المؤلف من وقائع تاريخية التي تفتقدها بعض المصادر التاريخية المغربية والوقوف عند أهم الأفكار التي استأثرت باهتمامنا بشكل موجز جدا أن ما قامت به الأستاذة مارياروسا في كتابها هذا اعتبرته شخصيا مدخلا مهما لمعرفة ما وقع من أحداث في المنطقة الريفية، حيث أشارت بشكل مفصل عن بداية التوغل الإسباني بالمنطقة المجاورة لملييلية، وبداية بناء أول خط للسكك الحديدية لنقل معدن الحديد من ويكسان إلى ملييلية، بناء على الاتفاقيات التي وقعها الثائر بوحمارة مع بعض الشركات الفرنسية الإسبانية وكانت هذه الأعمال سببا رئيسيا لانطلاق المقاومة المسلحة لقبائل الريف ضد التوغل الإسباني بقيادة المجاهد الشريف محمد أمزيان سنة 1909 وإعلان الجهاد ضد المحتل. وأصبح الشريف منذ انتصار المجاهدين في معركة "قي خندق واد الذئب رمزا للمقاومة والجهاد في المنطقة الشرفية والمنطقة الغربية للريف، نظرا لما حققه الريفيون من انتصار باهر على القوات الإسبانية النظامية حيث فقدت إسبانيا عددا كبيرا من الجنود والضباط الساميون

امثال الجنرال بينتوس Pintos الذي لقي حتفه في هذه المعركة. وأصبحت هذه المعركة محفورة في الذاكرة الشعبية الإسبانية إلى اليوم، كما هو الشأن بالنسبة لمعركة أنوال الشهيرة التي قادها الخطابي ضد القوات الإسبانية. وقد تناولت الأستاذة في كتابها هذا، أخبار مهمة، لم نكن نعرف عنها الكثير نظرا لعدم ولوجنا للأرشيفات الدفينة التي وصلت إليها الأستاذة سوا في إسبانيا أو فرنسا. حيث تحدثت بشكل مثير للإعجاب عن الطبقة التي كانت سائدة في المجتمع الإسباني بخصوص التجنيد الإجباري. ومدى تسييس المسألة المغربية من قبل العسكريين والطبقة البورجوازية والتي كان ضحيتها معظم الأسرة الفقيرة التي كان يرسل أبنائها للخوض في المعارك الإفريقية دون حصولهم على أي إعفاء من التجنيد، بينما أبناء الطبقة الغنية كانت تنفلت منها بسبب الرشوة والغرامات التي كانت تؤدي مقابل ذلك.

كما أشارت الأستاذة إلى المواقف المختلفة للأحزاب السياسية من الحرب الدائرة في المغرب، خاصة الحزب الليبرالي المؤيد للجناح العسكري. والحزبين الاشتراكي والشيوعي اللذين كانا موافقهما متأرجحة بين المعارضة تارة والصمت تارة أخرى تجاه ما يقع في الضفة الأخرى من إسبانيا. ونظرا لما كان يتخبط فيه الجيش الإسبان من مشاكل تنظيمية، قامت إسبانيا بإحداث فرقة عسكرية من أهالي القبائل الريفية سميت بشرطة الأهالي (Regulares) التي استطاعت أن تبعث الروح المعنوية في صفوف الجيش الإسباني في منطقة المواجهة مع المقاومة الريفية. خاصة قبل وبعد استشهاد الشريف محمد أمزيان، بعد محاصرته بمسجد بقبيلة بني سيلال من قبل الإسبان وقاوم الشريف ومن معه من المجاهدين إلى أن سقط شهيدا برصاصة أحد أفراد بني شيكر المجندين في شرطة الأهالي وأرداه قتيلا، ثم نقل إلى مستشفى بمليلية للتعرف عليه. حيث رآه الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي عندما كان موظفا بمليلية، حيث كتب رسالة إلى والده عبد الكريم بأجدير، عبر فيها عن مشاعره تجاه هذا البطل الذي ضحى من أجل إيقاف التوغل الإسباني بالمنطقة. إنه موضوع شائك يجب على الباحث الملتزم التدقيق في المعلومات والروايات التي روجت لهذا

الموضوع من قبل أعداء الثورة الريفية والتي تضاربت فيه الأحكام التي صدرت في هذه النازلة، ولن ادخل في ذكر التفاصيل عن هذه الواقعة لأننا تعرضنا لها بشيء من التفصيل في المداخلة التي ألقيناها في ندوة بني نصار لآحياء الذكرى المئوية لمعركة "أغزار اوشن". (واد الذئب) 1909. ولكن لا بأس من تذكير بعض الخطوط العريضة لهذه النازلة التي أصبحت اليوم من الموضوعات الحساسة لسكان منطقة الريف حول الموقف الحقيقي لأسرة الخطابي من مقاومة الشريف

محمد أمزيان ضد التوغل الأسباني في المنطقة المجاورة لمليلية المحتلة. حيث أصبحت الرسائل التي أرسلها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى والده بأجدير والتي تقمص فيها الأمير شخصيتين متناقضتين تجاه سلطات الاسبان ، نظرا للمسؤولية التي كان يتحملها الأمير مع الاسبان في مليلية. وهنا نتفق مع الاستاذة ماريا روسا Maria rosa. عندما أشارت في كتابها: "اسبانيا في الريف... España en el Rif" بأن الأمير تقمص شخصيتين إذ عبرت عنه ب: الوجه والقناع". وإذا ت فحصنا الرسالتين موضوع الحديث ، فإننا نستشف من الرسالة الاولى مدى تأثر الخطابي وحزنه العميق وشعوره بالوطنية الخفية لفقدان بطل المقاومة الشريف محمد أمزيان. وهي الرسالة التي اعتمدها الأستاذ عياش في كتابه "جذور حرب الريف" والتي بنى حكمه الخاطئ في حق والد الأمير الخطابي. أما الرسالة الثانية التي حررها لوالده فهي تتضمن جواب مجاملة للاسبان أمر والده بارسالها إلى الجنرال، ليطمئنه فيها بعدم انقياده وراء مساعدة أمزيان بالمحاربين من القبيلة الورياغلية. وهل يمكن اعتبار ما اشرنا إليه ان أسرة الخطابي كانت ضد حركة المقاومة التي قادها الشريف أمزيان، بسبب العلاقة المتينة التي كانت تجمع الأسرة الخطابية بالسلطات الاسبانية بمليلية... إن الجواب على التساؤل يبدو صعبا ويستحق بحثا دقيقا للحديث عن كل التفاصيل. إلا انه يمكن القول من خلال ما اطلعنا عليه من تصريحات الأمير لبعض المجلات المصرية بالقاهرة سنة 1959 نقلا عن مذكرات الخطابي (أشكر هنا الاستاذ عبد السلام الغازي عن مدنا بنسخة من مجلة الشأن المسلمين). أن عبد الكريم الأب كان من المنسقين والمتواصلين بالشريف أمزيان ، حيث كان هذا الأخير دائم الاتصال بالخطابي والتشاور معه في شأن مقاومة الاسبان في المنطقة بعد محاولة بعض الشركات الاسبانية-الفرنسية بمد خط السكة الحديدية من ويكسان ومليلية لنقل الحديد. إلا أن والد الأمير الخطابي حسب ما اشار اليه محمد بن عبد الكريم أنه كان لا يشاطره الرأي لمواجهة الاسبان لان الظروف غير مواتية، لأنها تقتد لعدة شروط. منها-عدم الاستعداد للمواجهة ويحتاج الأمر لتنظيم جيد لمواجهة الجيش الاسباني . وفضل إرجاء الأمر إلى وقت لاحق. إلا ان الشريف أمزيان أسر على محاربة الاسبان، غير أن والد الأمير خاطب الشريف بأنه لن يشاركه في تحمل أوزار ما عزم عليه الشريف القيام به، ولكن في نفس الوقت أكد له انه لن يقف أمامه حاجزا دون التحاق الجاهدين من قبائل الريف الأوسط للجهاد إلى جانب الشريف محمد أمزيان (للمزيد من التفاصيل انظر مقال موقف عبد الكريم الخطابي...في نفس العدد صفحة...)

ويمكن الإشارة هنا إلى أن الموقف الغامض للأسرة الخطابية من الحرب الدائرة في ضواحي مليلية ربما يعود بالأساس إلى الصداقة التي كانت تجمع آل الخطابي بالسلطات الأسبانية والذي كانوا من أهم العناصر المعتمد عليها من طرف الأسبان لإخضاع السكان لمخططهم الاستعماري، بالإضافة إلى باقي المتعاونين من مختلف القبائل الريفية الذين حاولت أسبانيا تمتين علاقاتها معهم لتتمكن من السيطرة على المنطقة دون إراقة الدماء، كما فعلته فرنسا بواسطة المارشال ليوطي Lyautey في المنطقة الجنوبية. إلا أن أسبانيا نهجت طريق القوة منذ بداية الحماية من أجل إخضاع القبائل دون اللجوء إلى نفس السياسة التي سلكتها فرنسا في منطقتها وهذا الأمر أدى إلى قيام المقاومة المسلحة ضد التوغل الإسباني في المنطقة الغربية لشمال المغرب وفي المنطقة الريفية.

وتناولت الأستاذة بشكل مفصل معركة " أنوال الشهيرة لسنة 1921 وما أسفرت عنه من نتائج سواء على مستوى الوضعية العامة لإسبانيا وانعكاساتها على الوضعية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. نظرا للخسائر الفادحة التي تكبدتها أسبانيا في الأرواح والعتاد في هذه المعركة وانتحار الجنرال المشهور سيلبستر Silvestre والذي خصصت له الأستاذة ماريّا روسا حيزا مهما عن سيرته منذ ولوجه العسكر إلى يوم وفاته في أنوال. كما تحدثت بإسهاب عن مسألة الأسرى الذين سقطوا في قبضة المجاهدين الريفيين. ومراحل المفاوضات التي تمت بين الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والحكومة الإسبانية من أجل إطلاق سراح السجناء، إلى أن توقفت هذه المفاوضات نهائيا بعد الهجوم العسكري الذي شنته القوات الإسبانية على دار دريوش سنة 1922.

وأشكر هنا المؤرخة على ما وضحته من حقائق مهمة عن هذه المفاوضات، وما روجته الأطروحة الإسبانية من سوء معاملة الأسرى، وما لجأت إليه من دسائس دنيئة لتشويه صورة محمد بن عبد الكريم عبر التصريحات المغلوطة في هذا الشأن لإفشال المساعي الحميدة لإطلاق سراح السجناء، واتهامه بالمتشدد والمتعنت في فرض شروط تعجيزية للحيلولة دون إطلاق سراحهم. إلا أن الأستاذة ماريّا روسا استطاعت بفضل اعتمادتها على الرسائل التي كان الأمير الخطابي يبعثها للحكومة الإسبانية في هذا الشأن لتوكيد خطأ ادعاءات الأسبان وكذبهم على ما كان يتلقونه السجناء الأسبان من معاملة سيئة من طرف الأمير وخير مثال على ذلك شهادة الجنرال نابارو Navarro الذي أكد حسن المعاملة التي خصها له الأمير الخطابي بعد إطلاق سراحه. وهذا يتفق مع ما أشار إليه الأمير بن عبد الكريم في مذكرته بالقاهرة رقم 547 عندما استقبل الجنرال

Navarro مباشرة بمجرد وصوله إلى أجدير حيث خاطبه الخطابي: يا جنرال اعتبر نفسك ضيفا علينا أنت وجنودك وليس أسيرا، وأمر خاله عبد السلام بأن يحضر فراشه وفراش الخطابي لينام عليه الجنرال. وهما سينامان على الحصيرة في الأرض. كما أن هناك شهادة أخرى عن المعاملة الحسنة للأسرى الأسبان صرح بها وزير خارجية الجمهورية الريفية محمد أزرقان في كتاب "الظل الوريث في محاربة الريف" لمؤلفه أحمد سكيرج، وحققه الأستاذ رشيد ياشوتي. حيث أشار أزرقان: "... وقد اعتنى السيد محمد بن عبد الكريم بشأن المسجونين حتى إنه كان يطبخ لهم الطعام بداره، ويوجهه لهم فيأكلونه، وما فضل عليهم يرمونه ولا يرجعونهم للمجاهدين الذين هم أحوج منهم إليه، ويتأسف المجاهدون على إضاعة ذلك الطعام الذي يفضل عنهم..." ص 134. هذه الشهادة تعبر عن قمة النيل والأخلاق الحميدة التي كان يتصف بها الأمير الخطابي، وهذه شهادة خصها له كل من اجتمع به من الصحفيين الأجانب في أجدير، وكل أصدقائه من الإسبانين الذين استمرت علاقتهم الطيبة مع محمد بن عبد الكريم بعد إعلان الحرب على إسبانيا.

ولقد توقفت ماريا روسا Maria Rosa بشكل خاص عند مسيرة الأسرة الخطابية. حيث تطرقت إلى القنبلة المنتمية إليها، والصداقة المتينة التي كان تجمع الخطابيين مع السلطات الإسبانية والتي استمرت إلى غاية سنة 1915. إذ كان ينظر إلى إسبانيا أنها المنفذ الوحيد لما آلت إليه الوضعية بالريف بعد تدهور السلطة المركزية ووقوع معظم أرضية تحت السيطرة الفرنسية، بالإضافة إلى الحالة الاقتصادية المزرية التي كانت عليها المنطقة الريفية جراء سنوات العجاف وانعكاسها على الوضعية الاجتماعية لسكان الريف. وقد حاولت الأستاذة إعطاء القارئ كل التفاصيل عن المراحل التي مر منها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى غاية تسلمه زمام المقاومة المسلحة ضد القوات الإسبانية. بعدما كان من المؤيدين للدول الأوروبية والإسبانية خاصة، نظرا لما كانت تقدمه من امتيازات لتنمية المغرب على المستوى الاقتصادي والثقافي..

كما تناولت أيضا الوضعية العامة الذي كان عليه الريف من جراء التنافس الأوروبي على الثروات المنجمية الخيالية التي كان يتحدث عنها هؤلاء. بالإضافة إلى محاولة الإغراءات التي كانت تقوم بها إسبانيا لاستقطاب الأعيان والأهالي من أجل التوغل في قلب الريف مكان مولد زعيم المقاومة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي. غير أن السياسة الاستعمارية التي تبنتها إسبانيا في منطقة الريف والمعاملات الغير اللائقة التي نهجتها السلطات الإسبانية ضد الأسرة الخطابي من سجن الأمير بملييلية بسبب بعض مواقفه. تجاه الاستعمار الفرنسي بالمغرب، وما عانته الشرطة الأهلية من منابر في القبائل الريفية، واتهام الأسرة الخطابية بموالاته

الأتراك والألمان في الحرب العالمية الأولى، وغيرها من الأسباب التي أدت بالخطابي في آخر المطاف الانحياز إلى المجاهدين الريفيين المعارضين لأي توغل أجنبي في أراضيهم، بعد رفض إسبانيا منح استقلال ذاتي للشعب اليفي في ظل الحماية الإسبانية. ونظرا لضيق الوقت فإننا نضيف إلى ما أشارت إليه ماريا روسا Maria Rosa أن:

— الثورة اليفي التي قادها الأمير محمد بن عبد الكريم، بالرغم مما قيل عنها فإنها تميزت في فكرها وأهدافها وأسلوب عملها السياسي والعسكري أنها ثورة وطنية وهدفت إلى تحرير أراضي المغرب كاملة من الاستعمار الإسباني والفرنسي وإعادة الوحدة الوطنية وهذا ما أكدته المصادر الجديدة التي تناولت هذا الموضوع (مذكرات الخطابي بالقاهرة، مذكرات أزرقان وغيرها) وهو عكس ما كان يراه الكثيرون من الناقمين على الأمير الخطابي

— أن النتائج التي توصلت إليها الأستاذة ماريا روسا من خلال الأعمال القيمة التي قامت به في شأن الحرب اليفية هو في الحقيقة : تقويم للكتابات الأجنبية التي تناولت الثورة اليفية، والتي تميزت حسب ماريا بالمغالطات والتي اتخذت في بعض الأحيان حكما. أحاديا تمثل في إساءة وتشوية شخصية محمد عبد الكريم الخطابي.

— أن مثل هذه الدراسات التي قامت بها الأستاذة عن هذه الثورة هو أيضا إعادة الاعتبار لتجربة الحرب اليفية في شخص متزعمها محمد بن عبد الكريم . كما تعتبر أيضا صفحة جديدة لتعميق الدراسة في العلاقة المغربية الإسبانية، خاصة في هذه الطرفية التي وصلت العلاقة بين الجانبين إلى التأزم بسبب قضيتنا الوطنية.

— إن الإدعاءات التي كانت تروج من طرف الفرنسيين ضد الخطابي والتي وظفتها إسبانيا بشكل مثير عن محاولة بن عد الكريم لاستيلاء على العرش العلوي هو في الحقيقة ادعاء باطل. كان بطلها المارشال ليوطي Lyautey الذي استطاع تكبير صفة العلاقة بين السلطان بن يوسف والخطابي نظرا لما كان يشكله الخطابي من خطورة على التواجد الفرنسي بالمغرب. وإن السلطات الفرنسية كانت تترصد الوفود اليفية التي كان يرسلها الخطابي والسلطان بفاس من أجل عدم اللقاء به. وتشير إحدى الوثائق أن اليفيين برهنوا بقيادة الخطابي على استعدادهم لتحرير المغرب من الاستعمار الإسباني والفرنسي، وهذه المسألة ليست غريبة عن أهل الريف كما أشار إليه بعض المؤرخين الجديين أمثال الأستاذ جرمان عياش والأستاذة ماريا روسا دي ماداريا، لأن غرض اليفيين كما قال الأمير الخطابي: "... لم يكن عرضنا التشويش على المخزن في أول الأمر، ولا الخوض

في الفتن كيفما كانت، ولكن قصصنا الأهم هو الدفاع عن وطننا العزيز الذي كان أسلافنا مدافعين عنه"... الظل الوريث ص 32)

— لقد بينت الأستاذة خلال تفاصيلها الدقيقة أن قيادة الثورة الريفية وأطرها المكونة للحكومة الريفية يستحق التوقف عندها بفضل عصرنة مشاريعها وحدائث مناهجها ومعاملاتهم الجيدة وتكوينهم العالي. فقد كشفت الأضواء على المميزات الخاصة التي تميز بها القاضي عبد الكريم وابنه محمد بن عبد الكريم الخطابي في تدبير شؤون حكومة بفضل تكوينه العصري وتجربته السياسية التي اكتسبها خلال عمله بمليطية وكذا استقامته وتواضعه ووطنيته التي يشهد عليها حتى أعداء الثورة الريفية. ونقول أنه بالقدر الذي كشفت فيه الأستاذة عن هذه الصفات الاستثنائية فإننا نشير إلى أن الأمير الخطابي ما كان أن يحقق شيئاً لولا القاعدة الصلبة من رجال القبائل الريفية الذين كانوا السند القوي لحركة المقاومة على جميع المستويات.

— ولا يسعنا في هذا الصدد إلا أن نؤكد على أهمية الكتاب الذي نحن بصددته بالإضافة إلى الكتاب القيم عن محمد بن عبد الكريم الخطابي وغيرها من المؤلفات التي كشفت الغموض عن البعد السياسي والفكري والأخلاقي للشخصية الريفية وهذا الأمر يعتبر أحسن رد على الذين حاولوا ويحاولون تشويه صورة الريفيين وقيادتهم.

ونتساءل في آخر هذه المداخلة ونحن نتفق مع ماريا روسا فيما توصلت إليه من نتائج حول ما كتبه على حرب الريف، هل ما كتب عن حرب الريف هي الصورة الحقيقية لما جرى في هذه الحرب؟ وهل يعني هذا أن ما تناوله الكتاب عن أحداث ثورة الريف لا يشوبها نقصان؟ وهل يمكن لنا أن نتوقف على البحث التاريخي للاكتفاء بما قيل في هذا الموضوع؟ أم أننا سنتابع مسيرة التحري في قضايا غامضة وشائكة لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي وردت في بعض الدراسات حول حرب الريف التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي

Por ultimo puedo résumir el libro de Maria rosa en los breves siguientes -/_ Felicito a la profesora por sus exitos realizados en el sentido historico sobre la parte norte de marruecos en general y sobre la parte del rif en particular.

-estoy de acuerdo totalmente, por la calidad de las aportaciones que nos ha dado Maria Rosa sobre las guerras del Rif, precisamente por la amplitud de miras que demuestra este libro.

La lectura de esta obra « En el barranco del lobo.... »

Y de otros libros de Maria Rosa de Madariaga puede resultar de indiscutible interés para profundizar en el conocimiento de multiples aspectos de la historia politica de las guerras del rif. durante el siglo XX

-El libro, por lo tanto, viene a cubrir un periodo poco estudiado, no solo por los investigadores Espanoles, sino tambien por los investigadores marroquies.

creo que ha llegado el momento para los investigadores de Espana y Marruecos para unirse y rivisar nuestra historia comun sobre la base de inverstigaciones serias en los archivos de dos partes para aclaracer la verdad de los hechos que han sido nobosos y falsos en muchas lecturas historicas sobre el periodo colonial de Espana en marruecos